المخطوطات العربية الاسلامية في الجنوب الجزائري
من خلال بعض النماذج: محاولـــة إحصـاء وتـعـريف

د/صالح بوسليم
أ/عبد القادر الميلق
جامعة غرداية

الملخص:

تعتز الأمة بتراثها العلمي والثقافي، وتفتخر بأنها من أكثر الأمم تراثا من حيث الكمية والقيمة العلمية، ويقتضي الاعتزاز بهذا التراث الرجوع إليه جمعا وبحثا وتأصيلا، ولهذا نشطت حركة البحث عن المخطوطات والتنقيب عنها وجمعها وتحقيقها وإنشاء المراكز المتخصصة للعناية بها، كل ذلك من اجل الحفاظ على التراث والاستفادة من قيمته العلمية.

و الجدير بالذكر، أن حواضر الجنوب الجزائري تتوفر على رصيد وثائقي هام من التراث المخطوط، ممّا يعكس عمق الاهتمام بالمقروء لدى سكان تلك الحواضر الصحراوية عبر تاريخهم؛ إنتاجا وصناعة ومعرفة.

وتحاول هذه المداخلة أن تبرز الواقع الماثل للتراث المخطوط في بعض حواضر الجنوب الجزائري، بالتعريف والتقديم، وذلك في مختلف المدن والقرى والواحات، من خلال بعض النماذج.

كما سنعمد بالدراسة إلى محاولة إبراز آفاق العمل حولها، وهو ما يدعونا إلى استقراء بعض الدراسات الأكاديمية والإفادات المتنوعة عن كل واحدة منها.

تقـديـم عـام:

يتميّز التراث المخطوط بغناه وتنوعه، سوا ء على المستوى المعرفي أو على المستوى الجمالي. بل ظل يُشكّل دوماً ذاكرة علماء الجزائر بامتياز، عند الخاصة والعامة على حد سواء.

ويتوزع الرصيد الوثائقي للتراث المخطوط بالجنوب الجزائري بين مكتبات (خزائن [1])عامة وخاصة، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر : خزائن الجنوب الغربي للجزائر(الساورة- توات)، وخزائن الجنوب الشرقي للجزائر(سهل وادي ميزاب كأنموذج) .

وهناك خِزانات تابعة لبعض الزوايا المنتشرة عبر الحواضر العلمية في الصحراء الجزائرية ، إضافة إلى مكتبات خاصة هي ملك لأفراد أو عائلات.

إن الهدف الأساس الذي ترمي إليه هذه المداخلة، هو محاولة اكتشاف الكنوز المغمورة في بعض الحواضر العلمية بصحراء الجزائر، وحفظ مخطوطاتها وديمومتها، واستعمال التقنيات التكنولوجية الحديثة لتسهيل تعامل الباحثين والدارسين معها.

وجدير بالذكر، أن التأريخ للخزائن العلمية هو تاريخ للفكر الإنساني في مسيره ومصيره، ذلك أن خزائن الكتب، كانت وما تزال وستظل معقلا لهذا الفكر تحافظ عليه وتقدمه من جيل إلى جيل على مر العصور.

وقد تميّزت الحواضر العلمية الصحراوية بجنوب الجزائر بكثرة خزائنها؛ الأمر الذي جعل العلماء يُنمُّونها، ويبحثون دائما عن الجديد، ممّا أعطى دفعا قويا لحركة التعليم، وشجّع على الاهتمام بفنون العلم والتفقه في أمور الدين الإسلامي. وقد كثر طلاب العلم ونشطت بذلك حركة التأليف والاستنساخ، حتى غدت تلك المناطق كالشعلة التي يستضاء بها[2].

وتعد المكتبة أو "خزائن الكتب" أداة هامة من الأدوات التعليمية التي ساعدت طلبة العلم في التحصيل على مرّ العصور والأزمنة التاريخية للدولة الإسلامية؛ حيث توجد في أغلب المدارس والزوايا

[1] المراد بكلمة (خزانة) في لسان سكان مناطق الجنوب الجزائري، وكذا في المغرب الأقصى: المكتبة الشعبية التي تحتوي على عدد من الكتب المخطوطة سواء أكانت هذه الخزانة داخل القصر أو في المسجد أو في بيت من البيوت.

[2] يذكر الدكتور مختار حساني" أن أغلب الواحات الصحراوية كانت تزخر بخزائن الكتب، وقد تحولت مقرات الزوايا بها إلى مدن مثل عين ماضي وتماسين وطولقا وأولاد جلال وتيميمون وأدرار ووادي الساورة". مختار حساني:" تاريخ المخطوطات"، (ضمن أعمال الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية، أدرار: 29 ماي- 02 جوان 1994م، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر)، ص ص 65-66.

خزائن تضم مختلف الكتب والمخطوطات لتكون عوناً للطالب على فهم الكم العلمي، الذي يتلقاه خاصة وأن اقتناء الكتب كانت تكلف مبالغ باهضه، حالت دون امتلاكها من قبل الأغلبية. كما أنها تعتبر مؤسسة علمية وثقافية مكمّلة لدرس الأستاذ (الشيخ)؛ فتُيسر للطالب نهل العلوم من مصادرها، والاحتكاك بالعلماء والمشايخ القائمين عليها[3] .

وتعتبر المخطوطات رصيدا علميا هاما يظهر مراحل تطور تلك المجتمعات الصحراوية، من خلال تتبع مراحل نشأتها؛ إذا ما استغلت بطرق عصرية ذات أبعاد حضرية تستمد مقوماتها من خلال التفكير في خلق مفكرة تربط مقومات المجتمع الماضية بأسسه الحاضرة[4].

وتجدر الإشارة إلى أن جل الإنتاج الفكري والأدبي والديني قد ضاع من خزائن توات، وذلك بفعل عوامل الطبيعة القاسية، وإلى عملية النهب أثناء دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة، فقد أحصى (مارتن) كل الخزانات وحمل الكثير منها وألّف كتابه الموسوم بـ " أربعة قرون من تاريخ المغرب و الصحراء ابتداء من سنة1504م إلى سنة 1902 م "[5].

إن الحركة الثقافية التي صاحبت نشاط التجارة وانتقال الحجيج عبر منافذ عديدة زادت في عزيمة سكان تلك المناطق- ولا سيما طلبة العلم- على التحصيل المعرفي، فتنقل هؤلاء عبر الحواضر العلمية المختلفة، كتوات و ورقلة و تقرت، و وادي سوف، وتلمسان بالجزائر. ومراكش، وفاس ، وشنقيط ، وتونس، وليبيا بالمغرب العربي. ومصر، والحجاز بالمشرق العربي . وفي بلاد السودان الغربي، نجد كل من حاضرة أروان و تمبكتو وغيرها. وقد صاحب هذه الرغبة التعليمية حب استنساخ المخطوطات وقراءتها[6] .

---

[3] أنظر: محمد عطا زبيدة، مكتبات المدارس "خزانة الكتب في العصرين الأيوبي والمملوكي"، في أبحاث ندوة: (تاريخ المدارس في مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992من ص221.

[4] مبروك مقدم،" المخطوطات داخل الخزانات الشعبية بتوات وتيديكلت"، (أعمال الملتقى الثاني للبحث الأثري ودراسات التاريخية)، وزارة الثقافة والاتصال الجزائر، ص ص 75-76.

[5] للتأكد والتحقق راجع كتابه: . A.G.P. Martin, Quatre siècles d'histoire, Paris 1923
وصاحب الكتاب ضابط فرنسي شارك في جيش الاحتلال الفرنسي للمناطق الصحراوية التواتية، وكان من فرقة الضباط المترجمين.

[6] عبد الكريم عوفي، "مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري، إقليم توات نموذجا"، في مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، العدد34، الإمارات العربية المتحدة، دبي 2001م، ص128.

– مراكز خزائن المخطوطات:

أ) – خزائن ولاية أدرار(إقليم توات):

تزخر واحات توات بثروة ثقافية عالية منذ أقدم العصور من جوانب مختلفة، ومن أهمها ما وجد مسطورا من مخطوطات ووثائق تاريخية متنوعة في مكتبات المساجد ولدى الأسر والأفراد، وهي تتعلق بمختلف المواضيع كالبيوع والميراث والحبس والمراسلات، وتعود إلى مختلف الفترات، وكذلك حركة النسخ التي قد يستغرق الكاتب فيها شهورا وسنوات في كتابة المخطوطات ونسخها وبيعها، ونقل الثقافة العامة من جهة إلى جهة ومن جيل إلى جيل حسب التجارة القديمة، وازدهارها عبر العصور عن طريق القوافل الصحراوية.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ المرحوم **أبو القاسم سعد الله** : "الغالب أن الزوايا هي التي كانت ترعى المكتبات؛ لاتّصالها بالدين والعلم، وقد عرفت منذ القدم بأنها سوق رائجة للكتب، وأنّ بعض عائلاتها الدينية قد كوّنت مكتبات معتبرة، وكانت صلة أهل توات بجامع القرويين وعلماء المغرب وعلماء افريقيا وتلمسان قد جعلتهم في مكانة يغبطون عليها، إضافة إلى علماء توات الذين كانوا يؤلفون الكتب ويستنسخونها من بعضهم، أو من علماء آخرين"[7].

ويمكن للباحث أن يصنّف خزائن إقليم توات (ولاية أدرار حاليا)حسب مناطقه الثلاث إلى النحو الآتي:

1. **خزائن منطقة قورارة:**

- خزانة المطارفة[8]:

ويوجد في هذه الخزانة حوالي ثمان مائة(800) مخطوطة، تشمل كل فنون العلم والمعرفة، وكثير منها لعلماء المنطقة، ومما تحتفظ به:

– شرح الرسموكي على لامية المجرادي: للرسموكي.

– نوازل السجلماسي: لابن هلال الفولاني.

[7] ينظر: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص371.

[8] تبعد المطارفة- حاليا- عن مقر ولاية أدرار ب 99كلم وتوجد هذه الخزانة بيد أبناء عبد الكريم بن عبد الكبير.

- نوازل القباب: لعبد القادر الفاسي.

- شرح الملوي على ألفية بن مالك: للملوي.

- تفسير القرآن: لابن عطية.

- - نوازل المغارسة لعبد الرحمن الفاسي.

- نوازل الحطاب على مختصر خليل.

- شرح الخرشي على خليل .

- الميارة الكبرى على ابن عاشر.

- الميارة الصغرى على ابن عاشر.

- **خزانة سيدي الحاج بلقاسم**[9]:

وتوجد هذه الخزانة بزاوية سيدي الحاج بلقاسم بتيميمون، وتضم أكثر من مائة مخطوط، وتشمل مواضيع مختلفة، كالقرآن وعلومه، و الحديث وعلومه، والتوحيد، والعقائد، و النحو والصرف، وعلم المنطق، وعلم الفلك، وتضم أيضا تراجم لعدد من العلماء والفقهاء ومشايخ المنطقة.

ومن الخزانات الأخرى بمنطقة قورارة: خزانة زاوية الدباغ[10]، وخزانة بادريان[11]،

وخزانة أولاد سعيد [12]، وخزانة فاتيس [13]، وخزانة تينركوك. وأغلب المخطوطات الموجودة بهذه الخزانات تشمل علوم الدين، وبعض تراجم لعلماء ومشايخ المنطقة المشهود لهم بالعلم والصلاح.

2- **خزائن منطقة توات الوسطى**: ومن أبرز خزائنها، نذكر:

---

[9] يُعد الشيخ سيدي الحاج بلقاسم من أعلام القرن العاشر الهجري، عرف بشيخ ركب الحجيج تخصص له زياة (وعدة) للاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف، وهو احتفال منصوص عليه في أحباس الزاوية، يرثها الأبناء عن الآباء والأجداد كوعد سنوي لا يجب تجاوزه، وفيها ترفع جميع ألوية الأولياء الصالحين الذين شاركوه في الحفل التأسيسي لهده الزيارة، وما يعرف عن الشيخ أنه علم طريق الحجيج ومنازلهم لأبنائه (المتوفين). ولموسم زيارة سيدي بلقاسم شهرة عالمية. ينظر: سلسلة النواة ،ج2،ص ص 12-17

[10] توجد هذه الخزانة – حاليا – بيد السيد الدباغ أحمد بن محمد.

[11] توجد هذه الخزانة – حاليا – بيد السيد الصوفي محمد السالم.

[12] توجد هذه الخزانة – حاليا – بيد السيد الجوزي عبد الرحمن وبها أكثر من (200) مخطوطة.

[13] توجد هذه الخزانة – حاليا – بيد السيد أحمد بن العربي.

- **الخزانة البكرية بتمنطيط:**

تُعد من أقدم وأغنى المكتبات الموجودة بالمنطقة، ومؤسسها الأول هو الشيخ سيدي ميمون بن عمرو (ت 890هـ)، وذلك في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي [14]. وقد بلغ عدد مخطوطاتها إلى ما يربو عن الألف مخطوط في شتى فنون المعرفة، وذلك في عهد مؤسسها الثاني الشيخ سيدي البكري (ت1133هـ/1720م).

وظلّت الخزانة البكرية حوالي مدة ثلاثة قرون مجموعة وموحدة، يشرف عليها عالم من أبناء العائلة ،ممن يشهد له عدول عصره بالتبرز في العلم والتفرد بالنجابة والتقوى، فيعمل جاهدا على إحاطتها برعاية فائقة مدققة ، ولا يمنع منها منتفعا، ولا يُمكّن منها مبتدعا[15].

– خزانة ملوكة [16]:وتضم هذه الخزانة ما يزيد عن ثلاثمائة مخطوطة، لكن الكثير منها تعرض للتلف والنهب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- الدرة الفائقة في ذكر سيد الخالقة: للسيد مسعود بن محمد.

- منهج البادية في الإنسانية العالية لعبد الله بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

- تحفة اللبيب في جمع الطرر المعلقة على شرح ابن النجيب، تحقيق الحاج ابن عبد الرحمان البلبالي.

- الغنية البلبالية[17]: للحاج عبد الرحمان الملوكي البلبالي.

- نوازل المعيار في فتاوى علماء إفريقيا والأندلس: للونشريسي.

---

[14] عبد الحميد بكري، مرجع سابق، ص 49.وانظر أيضا: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص297.

[15] ويذكر أنه في سنة 1244هـ/1824م قد تم تقسيم محتويات المكتبة بين أفراد العائلة قسمة تراضاها الجميع. فكانت في تمنطيط خزانة الشيخ سيد احمد ديدي، وخزانة الشيخ سيدي الحاج محمد القاضي، وخزانة الشيخ سيدي محمد الصالح.

[16] توجد هذه الخزانة بقصر ملوكة التابع حاليا لبلدية تيمي، يبعد عن مدينة أدرار بـ: 5كيلومتر، وكانت ملوكة مقراً للعلماء، وقد برزت كمركز إشعاع علمي وحضاري مع منتصف القرن الثاني عشر الهجري (18م)، ويرجع الفضل في ذلك إلى الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي (ت 1244هـ). ينظر: جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص 13. الرحلة العلية، ج1، ص 48. الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي، ص101. عبد الكريم عوفي، مرجع سابق، ص 124.

[17] تضمن هذا المؤلف مجموعة من النوازل وهي عبارة عن مجموعة من القضايا والفتاوى والمسائل المعقولة من سجلات القاضي عبد الحق بن عبد الكريم الذي شكل مجلس شورى من أربع فقهاء لمشاورتهم في القضايا التي تستشكل عليه. وكان بيدكل واحد منهم سجل يقيّد فيه أحكامه وفتاويه وقام الشيخ عبد العزيز بجمع أحكام السجل التي قيّدها والده وقام بترتيبها على حسب أبواب خليل (المرجع الفقهي المعتمد)، وتوجد نسخة من نوازل الغنية البلبالية في خزانة ملوكة وكوسام وأطلعنا الأخ عبد الحميد بكري على نسخة خاصة بخزانة جده سيدي أحمد ديدي بتمنطيط.

- تبصرة الحكام في أصول الفقه ومناهج الأحكام: لابن أبّ[18].

- عيون المذاهب المجهول (؟).

- **خزانة كوسام:**

سطع نجم كوسام مع نهاية القرن الثالث عشر للهجرة /التاسع عشر الميلادي، وأضحت بمرور الوقت مركز إشعاع علمي وحضاري يؤمه طلاب العلم، ويرجع الفضل في هذه المكانة التي تبوّأتها كوسام في تلك الفترة إلى أحد الأعلام البلباليين البارزين وهو العلامة سيدي عبد الله بن أحمد حبيب البلبالي (ت1353هـ/1934م) وتقع هذه الخزانة بكوسام[19]، ويتولى شؤونها حاليا الشيخ سيدي محمد الطيب شاري، تضم في رفوفها ما يزيد عن مائتين وخمسون (250) مخطوطة، في شتى فروع المعرفة الإنسانية، وقد ضاع منها الكثير. وممّا تحتفظ به على سبيل المثال:

-كمال فتح المقيت في شرح المواقيت، لأحمد بن محمد بن عومر.

-الخزرجية في العروض والقوافي.

-العيون الغامزة على خبايا الرامزة، لمحمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميمي.

-وسم المعاسي في شرح تحفة ابن عاصي على الأرجوزة، لمجهول (؟).

-خزانة بني تامر:[20] ومن مخطوطاتها نذكر:

- تفسير القرآن: للبغوي.
- التحفة العلية في آداب الدين والدنيا: لأبي الحسن علي بن حبيب.
- شرح المرفوق في المنطق: لمجهول (؟).
- **خزانة زاوية سيدي حيدة** [21] **ببودة:** وتوجد هذه الخزانة بقصر بودة السفلانية، ومن مخطوطات هذه الخزانة:

---

[18] نسب هذا الكتاب إلى الشيخ إبن أبّ المزمّري .وحسب اطلاعنا على مؤلفات الشيخ لم نعثر على عنوان هذا الكتاب ضمن مؤلفاته المخطوطة بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم. ونرجّح أنه قد يكون خطأً في النسخ.

[19] كوسام حاليا تابعة لبلدية تيمي، وتبعد عن مقر الولاية أدرار بـ 3 كيلومتر.

[20] تقع بني تامر شرق بلدة تيمي، وهي تابعة لبلدية تيمي وتوجد هذه الخزانة بيد حفيده السيد مبدوبي امحمد، وقد أصاب هذه الخزانة التلف والضياع بسبب العوامل الطبيعية والبشرية ولم يبقى منها إلا الشيء القليل.

- مقدمة ابن أجروم: لابن أبّ.
- الزرقاني في الفقه.
- تحرير الكلام في مسائل الالتزام لمجهول (؟).

وعلى العموم فإن هذه المخطوطات تتناول مواضيع مختلفة كالقراءات، التوحيد، الحديث وعلومه، العقائد وأصول الدين، التصوف، الفقه وأصوله، التاريخ، وأغلب هذه المخطوطات في حالة يرثى لها وأوراقها تأثرت بعوامل الطبيعة وتقلبات الجو[22].

- **خزانة زاوية كنتة** [23]: وتتميز مخطوطاتها بتناول العلوم الشرعية واللغوية وتاريخ وتراجم للأعلام الكنتيين، ومن أهم مخطوطاتها:
- الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد، للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير، ويشتمل على تاريخ سيد المختار الكبير وشيوخه، وقد تضمن مقدمة وسبعة أبواب.
- فتح الودود في المقصور والممدود للشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي، ويقع في (462) صفحة.
- النوازل: للشيخ باي الكنتي.

والغالب أن موضوعات هذه المخطوطات الموجودة بهذه الخزانة تدور حول علوم الشريعة الإسلامية واللغة والنحو والتراجم والتاريخ، وحسب الحديث الذي دار بيننا وبين القائم على هذه الخزانة [24]، وهو شيخ مدرسة سيدي أحمد الرقادي، فإن أغلب المخطوطات قد ضاع بسبب قساوة الطبيعة وعوامل التعرية، كما أن بعضها الآخر تعرض لعملية النهب عقب الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

---

[21] يرجع تاريخ تأسيس الزاوية إلى القرن الحادي عشر الهجري (17م)ن وقد أسسها الشيخ سيدي احمد الملقب بأبي سبع حجات وكان من العلماء الذين نبغوا في العلم، التف حوله طلاب كثيرون، وكان يحضر مجلسه أكثر من مائة طالب، أسس سبع زوايا، أشهرها بقصره الذي سمي باسمه زاوية سيدي حيدة، تصغير أحمد، كان يقود الركب، وسمي بشيخ الركب، خلف مكتبة أوقفها على إبنه الأفقه فكانت من نصيب إبن إبنه الشيخ سيدي محمد بن مبروك. ينظر:. أحمد جعفري، محمد بن أب المزمري، ص50. سلسلة النواة، ج1، ص107. عبد الكريم عوفي، مرجع سابق، ص 127.

[22] عاين أحد الباحثين هذه الخزانة ولاحظ الحالة التي وصلت إليها فقال: أنها في حلة يرثى لها وهي من بين الخزائن التي تحتاج إلى تدخل لانقاد ما تبقى منها بعد ترتيب أوراقها المبعثرة في الخزائن. ينظر: مختار حساني،" تاريخ المخطوطات "،مرجع سابق، ص70. وتوجد هذه الخزانة بيد السيد محمد جعفري.

[23] توجد هذه الخزانة بمقر زاوية كنتة التي تقع جنوب أدرار، وتبعد عن مقر الولاية بـ 77 كلم.

[24] خزانة زاوية كنتة حاليا هي بيد أبناء و أحفاد الشيخ الحاج أمحمد الكنتي بعد وفاته رحمه الله.

- **خزانة زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:**

يعود تاريخ تأسيس هذه الخزانة إلى القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، وذلك بعد عودة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي من السودان الغربي. وكانت تضم كل مؤلفاته [25]، وهي توجد قرب ضريح الشيخ ،وتحتوي على الكثير من المخطوطات ،ونذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي[26].

- البدر المنير في علوم التفسير، يدور حول علم التفسير.

- شرح مختصر خليل و حاشية عليه، سماها الإكليل لمغني النبيل على مختصر خليل.

- منظومة سماها منح الوهاب في المنطق المبلّغ للصواب، وعليها ثلاثة شراح له.

- فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب، وتدور حول المنطق وهو شرح لأرجوزة منح الوهاب.

ومن الخزانات الأخرى **خزانة زاجلو** بمنطقة توات الوسطى، وتحتوي على أكثر من سبعين مخطوطة في شتى العلوم الدينية والمعارف.

3- خزائن منطقة تيديكلت:

تحتوي منطقة تيديكلت على العديد من المخطوطات، وتعد خزائنها من أغنى وأخصب الخزانات الشعبية ثراءًا بالمخطوطات، وكثير منها من إنتاج علماء المنطقة، ومن هذه الخزائن نذكر:

- **خزانة السيد بن مالك عبد الكريم بأقبلي:**

وتوجد بقصر ساهل، وتشتمل على عدة مخطوطات، منها ما هو بخط الجد الأعلى للفلانيين، السيد محمد بن مالك بن أبي بكر بن أيوب بن حماد بن جلول بن طلحة [27]، ومنها ما هو بخط الشيخ محمد بن محمد العالم[28].

---

[25] حساني مختار، مرجع سابق، ص68..

[26] هذا المخطوط قام بدراسته وتحقيقه الدكتور عبد القادر زبادية في كتابه الموسوم ب: دراسة حول أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، الجزائر 1974م. وانظر أيضا: مبروك مقدم، أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا الكبير، ج2، دار الغرب وهران الجزائر،2002م.

[27] محمد باي بلعالم، قبيلة فلان، ص 338.

[28] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وحسب التقاييد التي اطلعنا عليها في حواشي بعض المخطوطات، تبيّن لنا أن العديد منها قد جلب إليها من طرف السيد عبد الرحمان بن الحاج أحمد حفيد الشيخ المؤسس، وبعض المخطوطات هي بخط الشيخ حمزة بن الحاج أحمد، كما جلب لها أيضا الشيخ محمد الحسن (ت 1352هـ/1933م) عدة مجلدات.

ويوجد بالمكتبة شروح للحديث وتفاسير للقرآن ومؤلفات في الفقه والنحو. وبقي الآن منها ما يقارب مائتي (200) كتاب مخطوط في الخزانة؛ بعد أن ضاع منها الكثير وتبعثر بسبب الكوارث الطبيعية[29].

ومن مخطوطات هذه الخزانة، نذكر:

- منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب: لمحمد بن عبد الكريم المغيلي.
- شرح الميارة: للفاسي ومعه ألفية في غريب القرآن.
- شرح الولائي على نظم المكودي: بخط بن مالك سنة (1309هـ/1891م).
- بغية السالك في أشرف المسالك: لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان.
- شرح ابن مهيب المسمى بالطريقة المثلى إلى الوسيلة العظمى: لمحمد النجيب بن محمد شمس الدين بن محمد النجيب بن محمد بن عبد الصمد (؟)
- الجامع الصغير من حديث البشير: فرغ من تأليفه في 907هـ/1501م، ونسخ في 1201هـ/1786م.

– خزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة الكنتي بأقبلي:

أسّسها الشيخ أمحمد بن عبد الرحمان الملقّب بأبي نعامة، المولود سنة (1060هـ/1650م)، المتوفي سنة (1163هـ/1749م) .

[29] حسب الحوار الذي دار بيننا وبين القائم على هذه الخزانة السيد بن مالك عبد الكريم، فقد ذكر أن الخزانة قد تضرّرت بالأمطار الغزيرة سنة 1965م لأن أغلب البنايات طوبية مبنية من (الطين) لا تقاوم شدة سقوط الأمطار الغزيرة . وكذا الأرضة التي أتت على الكثير من أوراق تلك الكتب الموجودة بالخزانة. وقد استفادت مؤخرا بدعم الجهات الوصية من غرفة خاصة تضم أغلب محتويات الخزانة.

و تشتمل خزانة الشيخ على قرابة ثلاثمائة مخطوط في فنون شتى، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- كشف الشبهات بالبراهين والبينات: للشيخ المختار الكنتي الكبير.
- نصائح للشيخ المختار وولده محمد في التصوف.
- نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض.
- الديباج المرقوم في أصول علم النجوم.
- الرسالة الغلاوية: للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار ولها ستة عشرة (16) صفحة.
- الكوكب الوقاد في فضائل المشايخ وحقائق الأوراد: للشيخ سيدي المختار الكبير.
- قصائد في الشعر الشعبي الديني تخص ركب الحجيج ومدح المصطفى: للشيخ ولد سيد الحاج الكنتي.
- كتاب الطرائف والتلائد، يتضمن أخبار الوالد والوالدة ومعه أخبار الأولياء والعلماء والأتقياء وبعض من أخبارهم للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير وتفادياً للتطويل أذكر أن الخزانة تحتفظ بعدد كبير من المخطوطات في الحديث والعبادات والمعاملات، ولا سيما مخطوطات فقه الامام مالك.

- خزانة المنصور[30] بأقبلي:

وقد أسّسها السيد الحاج محمد بن الحاج أعلي، أحد تلاميذ الشيخ المختار الكبير الكنتي، و تضم الخزانة ما يزيد عن عشرين مخطوطا في فنون مختلفة، منها على سبيل المثال:

- الكوكب الوقاد على شرح الأوراد: للشيخ المختار الكبير الكنتي.
- الجرعة الصافية والنفحة الكافية: للشيخ المختار الكبير.

[30] وهي حاليا بيد الأستاذ أمحمد لنصاري، ويسعى جاهدا على تنظيمها واتاحتها في يد الباحثين للاستفادة منها .

- المقصور والممدود: للشيخ المختار الكبير الكنتي.
- المهجة من تلخيص البهجة في مناقب سيدي عبد القادر الجيلاني: للإمام نور الدين أبي الحسن علي ابن يوسف النحوي المقري اللّخمي.

وفي الخزانة مخطوطات كثيرة مجهولة المؤلفين في علوم شتى.

- **خزانة أركشاش[31] بأقبلي:**

تأسّست هذه الخزانة على يد السيد محمد التهامي،الذي يمتلك أبناؤه اليوم مقتنياتها ،وتضم عددا من المخطوطات؛ ولعل أهمها هو المصحف الشريف الذي يعرف بـ " **تينغ بويا**" بمعنى قتل بويا ، وهو عبارة عن كتاب قرآن [كذا كتب عنه]، وهو يقع في (480) صفحة، نسخه إسماعيل بن أحمد بن حسن الأزهري سنة 872هـ/1367م (؟).

وقد كتب في آخره: «ليعلم الواقف عليه أنّ هذا المصحف ملّكه الله للحاج محمد بن الحاج علي المايخاني أصلاً، عبيد ربه تعالى محمد الأمين بن علي ابن محمد بن محمد بن الحاج محمد".

ويوجد عليه ختمٌ لملك غير واضح الاسم هو الملك" **الطام أبو سعيد تمرنغا** "، وقصة تسميته بهذا الاسم أنّ متخاصمين لزمهما القسم فاتفقا أن يحلفا عليه، وكان الكاذب اسمه بويا فمات بعد الحادث، فسموا الكتاب بـ **"تينغ بويا"**، وهو محفوظ بطريقة جيدة بمسجد أركشاش [32] . ويوجد بنفس الخزانة أيضا:

- نضار الذهب في كلّ فن منتخب: للشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي، فرغ منه في 1278هـ/1861م.

- **خزانة الشيخ محمد باي بلعالم[33] بأولف:**

[31] أسّس قصر أركشاش سنة 683هـ/1284م، وذلك حسب التقييد السالف الذكر.

[32] أثناء زيارتنا لقصر أركشاش بأقبلي بتاريخ: 11 يناير 2006م الموافق لـ 06 شوال من عام 1426هـ. أطلعنا إمام المسجد السيد الطالب لمين منصوري على هذا المصحف المحفوظ بطريقة جيدة رغم قدم تاريخ نسخه. والآن قد مضى على نسخه خمسمائة واثنان وخمسون (552) سنة وتراه كأنه كتب في هذا الوقت، ويتردد الكثير من الباحثين و الفضوليين للاطلاع عليه من كل مكان، ورغم أنه بقي هذه المدة الطويلة إلا أنه لم يتغير ولم يتلاشى ولم تؤثر فيه حرارة المنطقة فهو معجزة خالدة ،وكان القضاة في فترة سابقة يجلبون له الخصماء لما ثبت عندهم من الاعتقاد أن الناس يعظّمونه أكثر من أي مكان في هذه الجهات.

[33] هو الشيخ محمد باي بلعالم من مواليد بلدة (ساهل) بأقبلى سنة 1930م، درس على يد والده الشيخ محمد بن عبد القادر بن محمد و على شيوخ كثيرون، منهم الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي (تـ 1399هـ/1978م)، وله ما يزيد عن ثلاثين مؤلفا بين نظم وشرح وتأليف، و كان يشرف على مدرسة مصعب بن عمير القرآنية الفقهية بمقر دائرة أولف ولاية أدرار. أنظر

وهي مكتبة حديثة، أقامها الشيخ محمد بن عبد القادر بلعالم الملقب بـ"باي"، وحاول الشيخ سعيا منه، إلى جمع أكبر قدر من المخطوطات، قصد تجميعها في مكان واحد في محاولة منه للحفاظ عليها وصيانتها، ومن ثمّ تمكين الباحثين من الاستفادة منها.

وتتناول تلك المخطوطات مواضيع مختلفة، وهي الحديث و علومه، التوحيد والعقائد، التفسير والقراءات، التصوف، الفقه المالكي على مختصر سيدي خليل. و قد نسخ أغلبها ما بين القرن العاشر والرابع عشر الهجري، ومن مخطوطاتها:

- بلوغ الغاية على الوقاية، للشيخ محمد بن بادي الكنتي، وهو في اللغة العربية يقع في (290) صفحة وأوراقه من الحجم المتوسط.
- روضة النسرين في مسائل التمرين (اللغة)
- النفحة الرندية على شرح التحفة الوردية (اللغة)

– الروض الخصيب في شرح نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب، لمحمد بن الشيخ المختار الكبير الكنتي، انتهى منه في 1219هـ/1804م، ويقع المخطوط في (690) صفحة.

كما توجد في مدينة أولف خزائن أخرى ، وهي ممتلكات أسرية؛ كخزانة أولاد بولحية في زاوية حينون، والتي أسّسها الشيخ محمد بولحية، وهي الآن بيد أولاده، وخزانة الشيخ بختي أحمد العالم [34].وقد خلّف الشيخ أبا الأنوار بن عبد الكريم التنيلاني خزانة كتب، إلا أنها ليست متاحة للباحثين، ويجهل مكانها[35].

وللإشارة فإن أغلب هذه المخطوطات الموجودة داخل الخزانات الشعبية والمؤسسات الدينية، قد تنامت مقتنياتها وتطورت بفضل العلماء الذين تعاقبوا على توات على مرّ الأزمنة والعصور، ولم تتوقف

ترجمته كاملة للشيخ محمد علي الأمين الشنقيطي وقد نشرت في كتابه: الرحلة العلية ، ج 2، ص ص 376-386. وقد توفي رحمه الله بتاريخ 19 أفريل سنة2009م، فرحمه الله وأعلى مقامه في الصالحين.

[34] حسب ما أفادنا به أحفاده القائمين حاليا على الخزانة فان السيد أحمد بن مبارك يكو ن قد ولد بأولف خلال عام 1860م وأمه مباركة بنت أحمد الشعير. تعلم على يد والده الطالب مبارك وأخذ عن بعض علماء توات ، وقد عرف عند عامة الناس في أولف باسم سيدي أحمد العالم لما عرف عنه من العلم والتقوى وقد نشأ في أسرة عرفت بالعلم والصلاح.

[35] بالرغم من إشاعة الثقافة التراثية في المنطقة إلا أننا لم نتمكن من معرفة محتويات تلك الخزانة ونتمنى أن تبذل الجهود وتتكاثف جميعها من أجل بعث ونشر محتويات تلك الخزانة التي كان لها دوراً رائدا في الحركة الثقافية وتنشيط التعليم على يد الشيخ وتلاميذه في المنطقة وما جاورها.

عملية جلب المخطوط، بل تخصّصت بعض المراكز في عملية النسخ [36]. وكانت تلك الخزانات مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود الزوايا التي انتشرت في كل مناطق إقليم توات(أدرار).

ب) خزانة الزاوية الزيانية القندوسية[37] (ولاية بشار):

تضم هذه الخزانة حاليا حوالي أربعة وثمانون(84) مخطوطة في شتى حقول المعرفة، كالمديح، والتصوف، والتاريخ والفقه المالكي والنحو والصرف، وعلوم الحديث. الخ. وممّا يؤسف له أن العديد من مخطوطات الزاوية المذكورة، قد تعرض إلى السرقة والتلف عبر السنون والأيام[38].

ج) خزانة زاوية كـرزاز[39] بالدار البيضاء(ولاية بشار):

كانت تحتوي هذه الزاوية على حوالي مائة مخطوط، إلا أن أغلبها ضاع بعد إتلافه من طرف قوات الاحتلال الفرنسي في سنة 1957م.وقد تمكّن بعض القائمين عليها من تجميع عدد لابأس به، وصل في مجموعه إلى حوالي خمسة وثلاثين مخطوطا، تشمل علم الحديث، والتصوف، والفقه المالكي، وتفسير القرآن، وكتاب في النوازل[40].

وهناك العديد من المخطوطات متفرقة حاليا على بيوتات البلدة ومشايخ وأتباع الزاوية، عسى أن تكلل جهود الحريصين والمهتمين لجمعها مستقبلا في خزانة الزاوية ، لتسهيل مهمة الاطلاع عليها ودراستها من قبل الباحثين المتخصصين.

د) خزائن ولاية غرداية (وادي ميزاب):

تتميز منطقة وادي ميزاب برصيد ثري وبكميات معتبرة من الوثائق والمخطوطات، حيث يقدر إجمالي مخطوطاتها بأكثر من ثمانية آلاف

---

[36] اشتهرت المدرسة القرآنية والفقهية ساهل أقبلي ببعض النساخ والخطاطين، وخاصة كتابة المصحف الشريف، وقد اعتنى علماؤها وطلبتها بنسخ القرآن الكريم وكتابته بواسطة الوسائل البسيطة الموجودة في ذلك الوقت (الدواة والقلم والكاغد)، ونذكر من هؤلاء النساخ المقرئ العلامة محمد عمار بن محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك (تـ 1364ه/1954مـ) الذي كان حافظا للقرآن الكريم وكان يمتاز بمهمة نسخ الكتب والمصاحف، وقد وجد في مذكراته التي يُسجّل فيها مخطوطاته أنه نسخ بقلمه خمسة وأربعين (45) مصفحا كاملا ونسخ الكثير من الأجزاء والأرباع. ينظر: قبيلة فلان، مرجع سابق، ص54. أحمد بن مالك، مرجع سابق، ص08.

وقد شاعت حركة النسخ والاستنساخ في العديد من المراكز العلمية والثقافية بتوات حتى أنه كان لها اختصاصيون مشهورون، ومن شروطها جودة الخط و حسن اختيار الورق وإتقان صناعة الوراقة والسرعة والمهارة في التوثيق والدقة في العمل وصحة النظر. ينظر: مبروك مقدم: المخطوطات داخل الخزانات الشعبية، مرجع سابق، ص 78.

[37] القائم عليها حاليا هو السيد الطاهري أمبارك ،أستاذ التعليم الثانوي بثانوية العقيد عثمان منذ سنة 1996م إلى غاية يومنا هذا.

38 لمعرفة محتويات الخزانة الزيانية القندوسية ينظر: عبد القادر بوباية:"الخزانة الزيانية القندوسية نموذج محلي للحفاظ على التراث الوطني" في المجلة الجزائرية للمخطوطات،العد د05،مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران،2008م،ص ص 214-218.

[39] تبعد مدينة كرزاز عن مقر مدينة بشار بحوالي 300كلم إلى جنوب الولاية.

[40] عبيد بوداود: "دور الزوايا في الحفاظ على التراث المخطوط زاوية كرزاز نموذجا"، في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الأول، مخبر البحث: الجزائر تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر سبتمبر 2009م،ص ص37-40.

(8000)مخطوط[41]، ومن أبرز خزائنها نذكر:

- **خزائن سهل وادي ميزاب:**

و تضم مخطوطات عدّة، أغلبها كتب ألّفها علماء إباضيون في القرون الماضية، والتي لا زال الكثير منها ينتظر من ينفض عنها الغبار ويخرجها من محبسها إلى الوجود. ومن أبرز هذه الخزائن نذكر[42]:

. خزانة القطب (الشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش): بني يزقن .

· خزانة آل خالد. : بني يزقن .

· خزانة صالح بن عمر لَعلي: بني يزقن .

· خزانة الشيخ الثميني. : بني يزقن .

· خزانة المسجد العتيق: العطف .

· خزانة البكري (الشيخ عبد الرحمن بكلي) :العطف .

· خزانة النهضة: العطف .

· خزانة معهد الإصلاح: غرداية .

· خزانة معهد عمي سعيد: غرداية .

· خزانة محمد الحاج أيوب: غرداية .

· خزانة الشيخ بالحاج: القرارة .

· خزانة معهد الحياة: القرارة .

· خزانة جمعية التراث: القرارة .

· خزانة باعمارة : مليكة .

· خزانة النصر : مليكة .

· مكتبة جمعية أبي اسحاق لخدمة التراث .

وقد تمّ فهرسة تسع مكتبات، و التي هي حاليا في متناول الباحثين والدارسين، وهي

---

[41] ينظر: مصطفى بن الحاج بكير حمودة :" المخطوط في منطقة وادي ميزاب: قيمته الحضارية و التاريخية من خلال مكتبة "الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي1287- 1347هـ/1870-1928م " ، في موقع جمعية التراث ، صفحة ويب:
www.tourath.org/ar/content/view/15/1 يوم2014/03/15، في الساعة الثامنة مساء.

[42] مصطفى بن الحاج بكير حمودة : المرجع السابق. وانظر أيضا: عمر لقمان سليمان بوعصبانة: " واقع المخطوطات الاسلامية في البلاد العربية والأوربية"، في المجلة الجزائرية للمخطوطات،العدد 05،مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران،2008م،ص92.زلاقي و روباش:" وضع المخطوطات العربية في الجزائر"، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد الثاني، المركز الجامعي بغرداية،أكتوبر2007م،ص ص27-29.

مرتّبة كالآتي[43]:

رقم المكتبة	صاحب الخزانة	مكان الخزانة(القصر)	عدد مخطوطاتها
01	الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي ت 1347 هـ	بني يزقن	1210
02	الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو ت 1313 هـ	بني يزقن	811
03	عشيرة آل يدّر	بني يزقن	594
04	عشيرة آل فضل	بني يزقن	508
05	الشيخ الحاج محمد بن عيسى ازبار ت 1307 هـ	بني يزقن	490
06	إروان (دار التلاميذ)	العطف	288
07	البكريّ ت 1406 هـ	العطف	135
08	الشيخ عمّي سعيد الجربيّ ت 898 هـ	غرداية	91
09	الحاج عيسى بوعيس ت 1410 هـ	بني يزقن	58
المجـــــمـــــــوع			4185

أما الخزائن التي لم يتمّ إنجاز فهارس علميّة لها، فهي في حدود تسعُ مكتبات، وهي:

– مكتبة الشيخ حمو بابا وموسى، ومكتبة معهد عمّي سعيد، ومكتبة الحاج مسعود بابكر الغرداويّ، بغرداية.

–مكتبة القطب الشيخ اطفيش، ومكتبة الاستقامة، ومكتبة الحاج إبراهيم أوزكري، ببني يزقن.

– مكتبة السلف، بمليكة.

– مكتبة الشيخ بالحاج، بالقرارة.

– مكتبة النهضة، بالعطف.

وبالجملة، فهي مكتبات لا تقــلّ أهميّة من حيث كمية المخطوطـــات عن المكتبات المفهرسة؛ بالإضافة إلى مكتبات أخرى عديدة لم تَفتح بعدُ أبوابها، في جميع قــرى وادي ميزاب؛ ممّا يجعل تقديرنا

[43] مصطفى بن الحاج بكير حمودة: المرجع السابق، صفحة ويب:
www.tourath.org/ar/content/view/15/1 يوم2014/03/15، في الساعة الثامنة مساء.

لعدد المخطوطات الموجودة الآن بمنطقة وادي ميزاب هو في حدود عشرة آلاف مخطوط[44]. وتقـــوم في الوقت الراهن جمعيات عــديدة في المنطقة بجهود لحصرها وفهرستها.

و ممّا يؤسف له أن مخطوطات متليلي، قد تعرض أغلبها إلى النهب و الاتلاف، من طرف الغزاة و قوات الاحتلال الفرنسي ، نظرا لسياسة الاطباق أو الحصار الخانق المفروض على أهالي المدينة آنذاك.

وتحر ص حاليا بعض النوادي و الجمعيات الفاعلة بمدينة متليلي لجمع أكبر عدد ممكن من المخطوطات والوثائق الأرشيفية ، بُغية الحفاظ على الذاكرة الشعبية والوطنية للمنطقة.

وفي ختام هذه المحاولة، يمكن القـــول أنه بالرغــم من إشـــاعة الثقافة التراثية في بعض المناطق(مجال الدراسة)، إلا أننا لم نتمكن من معـــرفة محتويات بعض الخـــزائن الخاصة ، ونتمنى أن تبذل الجهود وتتكاثف جميعها مستقبلا من أجـل بعث ونشر محتوياتها وإتاحتها للدارسين و الباحثين .

ثم إن المتصفح – اليوم – للمخطوطات المتبقية في الكثير من تلك الخزائن ، يجد أن الزمن قد فعل فعلته بصفحاتها الأولى، إلى درجة التمزق لمجرد لمسها، لكن الغائب الأكبر أمام هذا الوضع هي العناية بما فلت من أنياب الدهر، واخراجها من محبسها الذي لازمته لقرون، وإعادة ترميمها وفقا للمقاييس العلمية وإعادة نسخها، كي يتسنى للباحثين الاطلاع عليها وتحقيق ما يمكن تحقيقه منها.

ولنتساءل أخيرا: هل يمكن اقتراح بطاقة نموذجية لفهرسة المخطوط العربي تأخذ في الاعتبار كل المعطيات العلمية والتقنية الحديثة ، قبل أن نحدد مفهوم الفهرسة تحديدا نهائيا يجمع عليه العلماء والمختصون، ويحظى بقبول كل المهتمين بالمخطوطات في جميع المراكز والمكتبات العربية والاسلامية؟.

وفي اعتقادنا أنه لا يمكن اقتراح أي نموذج للبطاقة الفهرسية قبل تحديد مفهوم الفهرسة تحديدا علميا يتم في حدوده، وفقا لشروطه، وصف المخطوط العربي.

لذا نوصي بضرورة العمل على مواصلة جرد وفهرسة مخطوطات كل الخزانات عبر التراب الوطني

[44] مصطفى بن الحاج بكير حمودة: المرجع السابق، صفحة ويب:
www.tourath.org/ar/content/view/15/1 يوم2014/03/15، في الساعة الثامنة مساء.

بصفة عامة، ومناط ق مجال الدراسة بصفة خاصة. مع ضرورة التعاون بين المحققين والفهرسيين و حتى الأثريين، وذلك بغية الاستفادة من المخطوط بكل جوانبه، يُضاف إلى جانب ذلك تنظيم دورات تدريبية حول ترميم المخطوط ورقا وغلافا، بالإضافة إلى العمل على تنظيم ندوات علمية تتناول علم المخطوطات بكل مجالاته، وإنشاء مشاريع بحث مع أساتذة مشاركين متخصصين في مجال المخطوط.

وفي الأخير يجب التذكير بأن مسألة الحفاظ على هذا التراث المخطوط و العمل على صيانته يُعد من أوليات الفترة الراهنة، حت ى يسهل على الباحثين والدارسين نشره ودراسته، ويندرج كل ذلك في سبيل الم حافظة على هويّتنا الثقافيّة العربية والإسلامية.